بسم الله الرحمن الرحيم

علم الإعجاز في القرآن الكريم

1-المقدمـــــة:

أنَّ لفظ الإعجاز لم يرد لا في كتاب ولا في سنة، والذي ورد أنّ ما يعطيه الله ﷻ للأنبياء والرسل وما آتاه محمد ﷺ هو آية وبرهان على نبوته. ثمَّ إن لفظ المعجزة لم يردِ لا في الكتاب ولا في السنة أيضا، وإنما هو لفظٌ محدث ولا بأس باستعماله إذا أريد به المعنى الصحيح، الذي جاء به القرآن من الآيات والبراهين.

أولاً- معنى الإعجاز لغةً واصطلاحاً:

١-الإعجاز لغة: هو مصدر، وفعله رباعي هو أعجز، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل منه: معجز. ثمَّ إنَّ له عدة تعريفات أخرى منها:

- تعريف الإمام الجرجاني في كتابه "التعريفات": وهو"أنْ يؤدى المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق".

- وقد عرَّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: "الإعجاز شيئان:

[١]- ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.

[٢]- ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه.

والخلاصة: الإعجاز يعني: التقصير والضعف والتثبيط والفوت والسبق... وهذا يعني: نسبة العجز إلى الغير أو إثبات العجز له وإظهار ضعفه عن اللحاق بالشيء المعجز.

٢-والإعجاز في الاصطلاح: إثبات عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن.. وهذا يقتضي وجود طرفين أساسيين وهما:

١-طرف معجز وسابق وغالب وهو القرآن الكريم.

٢-طرف معجوز ومغلوب وهو كافة ما خلق الله من عالم الإنس والجن.

٣-وأمر آخر يتم به الإعجاز وهو: الوجه المعجز في القرآن الكريم.

-ما هو الغرض من الجانب الإعجازي في القرآن الكريم:

يخطئ من يظن أن الغرض من الإعجاز هو إظهار ضعف العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن، وإنما الغرض منه: إظهار أن القرآن حق، وأن الرسول حق، وما المعجزات إلا لتأكيد صدق النبي وأحقيته، وعلى الناس جميعاً الإيمان به و تصديقه وطاعته.

ثانياً: المعجزة تعريفها وشروطها:

-المعجزة لغة: هي من العجز وهو ضد القدرة، وأضيفت التاء المربوطة للمبالغة في غلبة المتحدي.

-المعجزة اصطلاحاً: هي الأمر الخارق المقرون بالتحدي إذ هي: عبارة عمَّا قصد به إظهار صدق من ادعى النبوة أو الرسالة.

شروط المعجزة:

١-أن تكون أمراً من الله كي يصدق مدعي النبوة، وهي مما لا يقدر عليه إلا الله وهذا يشمل:

أ-القول أو الكلام (كالقرآن).

ب -الفعل: كإبراء الأكمه والأبرص والمريض وغيرها.

جـ ــ الترك: كعدم حرق النار لإبراهيم، وكتوقف السكين عن ذبح إسماعيل عليهما السلام.

٢-أن تكون خارقة للعادة ومخالفة للسنن الكونية، كفلق البحر وانشقاق القمر وطلوع الشمس من المغرب ممَّا لا يقدر عليه البشر: قال ﷻ: ﴿ **قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

٣-أن يستشهد بها مدعي النبوة للدلالة على صدقه، كأن يقول: دليل صدقي أن يخرق الله العادة فينقلب العصا ثعباناً، أو أن ينشق الصخر فتخرج منه ناقة حلوب..، وهذا فيه دعوة الله للبشر لاتباع النبي أو الرسول الذي أظهر المعجزة.

٤-أن لا تكون متقدمة على النبوة، بل متأخرة أو مقارنة لها كونها شهادة من الله للنبي، والشهادة لا تتقدم الدعوة، فلا يعتد بالإرهاصات والخوارق وكلام عيسى في المهد.

٥-أن تقع على وفق ادعاء النبي فيخرج المخالف لها، كأن يقول آية صدقي انفلاق البحر فينفلق الحجر، أو كما فعل مسيلمة حينما بصق في عين مريضة فعميت العين الصحيحة، وحينما مجَّ في بئر ينتظر أن ينفجر ماؤها فغار الماء الموجود فصار هذا خارق للعادة ولكنه إهانة له ودليلٌ على كذبه.

٦-أن لا تكون مكذبة له، (كأن يقول آية صدقي نطق الجماد، فينطق الجماد مكذباً له).

٧-أن تتعذر معارضته: ولو عورض بطلت نبوته، قال ﷻ: **﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾** وقوله ﷻ: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**.

<u>ويخرج عن المعجزة الأمور الآتية:</u>

١-**السحر**: السحر في اللغة: هو عبارة عمَّا خفى ولطف سببه ولهذا جاء الحديث: [إن من البيان لسحرا] وسمى السحر سحرا لأنه يقع خفيا آخر الليل، وقيل: السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه قال ﷻ: **﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾** وقال ﷻ: **﴿ ومن شر النفاثات في العقد﴾** يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن، والساحر لا يدعي النبوة، وفعله يعلمه كثير من الناس، بينما المعجزة لا يأت بها إلا الأنبياء ومقرونة بدعوى النبوة.

٢- **الكهانة:** وهي ادعاء علم الغيب؛ كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب هو استراق السمع؛ حيث يسترق الجني الكلمة من كلام الملائكة، فيلقيها في أذن الكاهن، فيكذب معها، فيصدقه الناس.

٣-**الشعوذة(الشعبذة)**: لَعِبٌ بخفة اليد يرى الإنسان منه الشيء بخلاف ما عليه أصله في رأي العين، أي يرى ما ليس له حقيقة.

٤- **الإهانة:** مثل ما حدث لمسيلمة الكذاب ، حينما مجَّ في بئر ينتظر أن ينفجر ماؤها فغار الماء الموجود فصار هذا خارق للعادة ولكنه إهانة له ودليلٌ على كذبه.

٥- **المعونة:** من قبيل ما يظهر على يد عامة الناس من عونهم للخروج من مأزق أو محنة.

٦ـ **الاستدراج:** أمر خارق للعادة يظهره الله ﷻ على يد فاسق أو كافر ليقيم عليه الحجة، قال ﷻ: **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾**.

٧ ـ **الكرامة:** هي أمر خارق للعادة يجريه الله ﷻ على أيدي الأولياء والوليّ لا يستطيع تكرار هذه الكرامة وهي غير مقترنة بدعوى النبوة.

٨ـ **ما يظهر عند أشراط الساعة:** كظهور الدجال والدابة لا يصدق مدعيها لأنها في وقت نقض العادة.

<u>الفرق بين المعجزة والكرامة:</u>

أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على وجود الكرامة إلاَّ المعتزلة ومن وافقهم من آحاد الناس بدعوى أنها تشبه المعجزة، قال ﷻ: **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**. ومن أهم <u>الفوارق بينهما</u>:

١-المعجزة مقارنة لدعوى النبوة..... -صاحب الكرامة لا يدعي النبوة.

٢- مقدورة للأنبياء متى أرادوها..... -الكرامة غير مقدورة للأولياء متى أرادوها.

٣- احتجاج على المشركين كي يؤمنوا. -الأولياء يحتجون بها على أنفسهم.

٤-الأنبياء كلما زادت معجزاتهم تعظم فضائلهم.- زيادة كرامات الولي تجعله يخاف.

<u>حجج أو أدلة من أثبت الكرامة وأدلته:</u>

١-لقد ورد في القرآن ما يثبتها من دون شك: قال ﷻ: **﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾**، وقوله ﷻ: **﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**. لبث أهل الكهف مئات السنين من دون طعام.

٢-ماتواتر عن الصحابة: عمر يخاطب قائد الجند في نهاوند(يا سارية الجبل)، علي: يرفع باب خيبر، ويعجز عن حمله الرهط من الرجال، وخالد ابن الوليد يتحسى السم ولا يصيبه شيء، وكرامات الصحابة كثيرة جداً ويعسر إحصاؤها.

٣–في إثباتها إثبات للنبوة، ومن خالف النبي لا تحصل له كرامة إلا على سبيل الاستدراج.

٤–الكرامة أمر ممكن والممكن يظهر بقدرة الله المطلقة، التي لا يعجزها شيء.

خلاصة مواقف المتكلمين فيما يتعلق بالكرامة وخوارق العادات:

١–قسم من المتكلمين كذب بها ولا تحدث إلا للأنبياء، وهم المعتزلة ومن وافقهم.

٢– والبعض قبلها وكل من جاء بها كان ولياً، وهم عموم الصوفية والإمامية.

٣–و قسم ثالث يثبت وجودها لغير الأنبياء ولكنه يشترط الاستقامة وصحة العقيدة وعلى هذا سلف الأمة وبعض خلفها.

أنواع معجزات النبي ﷺ

أعطي ﷺ نوعان من المعجزات وهي:

١–معجزات مادية كمعجزات إخوانه من المرسلين وهي قصيرة زالت بزوال زمانها. مثل انشقاق القمر وإبراء المريض ونبع الماء من بين أصابعه و إخباره بوقائع غيبية قبل وقوعها، وقد أحصى له العلماء أكثر من ألف معجزة مادية.

٢–معجزة عظيمة لا تخضع للزمان ولا للمكان فهي مطلقة لأنها صفة من صفات الله ﷻ، وهي (القرآن الكريم)، وهي المعجزة المعنوية الخالدة.

ثالثاً– ومن أهم شروط تحقق الإعجاز وأموره:

١– **الأمر الأول التحدي:** وهو طلب المنازلة والمعارضة وقد تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله أو عشر سور منه، والتحدي قائم إلى قيام الساعة. إذ أتى به من لا يعرف القراءة والكتابة ولم يتعلم شيئا من العلوم والثقافة المختلفة بينما هم اهل العلم والثقافة واللغة والفصاحة والشعر بأنواعه، قال ﷻ: **﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾**، فعجزوا، وقال ﷻ: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**.

إيتوا بمثله في البلاغة والإخبار بالغيبيات، والحكم، والأحكام، والوعد، والوعيد، والأمثال، وتدَّعون بأنه مفترى، إيتوني بمثله في البلاغة وحدها وسنعفيكم من حقائق معانيه وصحة مبانيه. ثمَّ تدرج معهم في التحدي إذ:

١-تحداهم بأن يأتوا بمثله، فعجزوا.

٢-فخفف عليهم فقال إيتوني بعشر سور منه مفتريات، كما تزعمون.

٣-ثمَّ خفف عليهم أكثر فقال إيتوني بسورة واحدة إن كنتم صادقين. ولما بيَّن الله ضعفهم وثبت عجزهم ختم الموضوع بقوله ﷻ: **﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾**؛ فذكر أمرين:

أحدهما: قوله ﷻ: **﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّار﴾**؛ يقول : إذا لم تفعلوا؛ فقد علمتم أنه حق؛ فخافوا الله أن تكذبوه، فيحيق بكم العذاب الذي وعده للمكذبين .

وثانيهما: قوله ﷻ: **﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾**، ولن لنفي المستقبل، فثبت أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله؛ كما أخبر بذلك. فلما ثبت عجزهم سجل عليهم القرآن العجز والهزيمة فثبتت معجزة النبي وهي أن هذا القرآن من عند الله قال ﷻ: **﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِين﴾**، ثمَّ شدد عليهم اللهجة فقال ﷻ: **﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾**،و هذا التحدي قائم إلى قيام الساعة.

٢- **الأمر الثاني وجود مقتضى التحدي:** أي: ما يدفعهم للمنازلة، سيما وأنه ﷺ أبطل عبادتهم وسفه أحلامهم وسخر من عقولهم، وتحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن وهو بلغتهم ولسانهم، فحرصوا بشدة على رده ولكنهم لم يفلحوا.

٣-**الأمر الثالث: عدم وجود مانع من المنازلة:** وهو انتفاء ما يمنعهم من المعارضة **وذلك من جهات مختلفة:**

-من جهة اللغة: هم أهل البلاغة والفصاحة والذكاء والحكمة والبراعة.

-من جهة المعنى والقدرة: هم أهل التجربة والاختلاط والمعاشرة والعقل والذكاء وهم أصحاب المطولات من الخطابة والشعر والنثر والبصيرة تشهد لهم محافلهم وأسواقهم الأدبية والعلمية.

- من جهة الزمن: جعل الله لهم الزمن مفتوحاً إلى قيام الساعة، فعجزوا عن الإتيان بمثله، فدل ذلك على أنه تنزيل من رب العالمين، قال ﷻ: **﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾**، وحينها قال حكيمهم وقائدهم الوليد بن المغيرة وهو من ألد أعداء الرسول والقرآن الذين كانوا يريدون إطفاء نوره وإذهاب بهائه فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر مورق وما هو بقول بشر)، فعمدوا إلى إغراء سفهاءهم وصبيانهم بأن يلغوا فيه حين تلاوته، قال ﷻ: **﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾**.

وهم كانوا من احوج الناس للرد عليه ولكنهم عدلوا عن ذلك ولم يحدثوا به انفسهم وهم أهل اللغة العقل والبلاغة والشعر والبيان، فلجأوا إلى العناد واتهامه بالسحر والشعر والأساطير وعمل الكهان ... وبقي التحدي باقياً أكثر من ٢٣ سنة، فعجزوا عجزا تاما عن مغالبة القرآن فرضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبي ذراريهم وحرائرهم واستباحة دورهم وأموالهم، ولو كانت لهم القدرة على معارضة القرآن لقبلوا به ورضوا به لأنه أهون عليهم من الحرب وشرورها.

وقد اجتمعت هذه الشروط الثلاثة المتقدمة في هذا القرآن فوقع فيه التحدي فثبت إعجازه بقدرة الله التي لا تقهر.

2-نشأة دراسة علم الإعجاز وتطورها:

ترجع نشأة علم الإعجاز إلى أوائل نزول القرآن الكريم لأن القرآن هو معجزة المسلمين الخالدة، قال ﷺ : (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، والقرآن الكريم من أكبر معجزاته ﷺ، قال ﷻ: **﴿ وقالُوا لولا أُنْزِل عليهِ آيةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إنما الآياتُ عندَ اللهِ وإنّما أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ .أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أنزلنا عليك الكتاب يُتْلَى عليهم إنَّ في ذلك لَرَحمةً وَذِكْرى لقومٍ يؤمنون﴾**، غير أنه لم يكن معروفاً في صدر الإسلام، لفرط تذوقهم لمعانيه وسماعه وموسيقاه فمجرد

تلاوته وسماعه كانت كافية لإدراك وجوه إعجازه ومعرفة تفوقه على أساليب بيانهم المعتادة ولذا كانوا **<u>في الموقف من القرآن على فريقين:</u>**

الفريق الأول: من استجاب للحق الذي فيه فآمن به واستسلم له وخضع له فؤاده.

الفريق الثاني: من أعرض عنه ولم يعمد إلى معارضته وأقر بهزيمته، ولكنه جحد به كبراً وعناداً، فصور القرآن حالهم بقوله ﷻ: **﴿بل قالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِر﴾**.

وقد أجمعت العرب على تميز أسلوب القرآن عن أساليبهم مما دفع البعض للإيمان به والاستسلام له،، ثم تطورت هذه الدراسة في أوائل القرن الثاني إذ اتخذت شكلا موضوعياً سيما بعد توسع الدولة ودخول الأعاجم في الإسلام بثقافاتهم المختلفة، مما يعني بروز تحد جديد وهو معرفة بيان القرآن ومقاصده بعد أن ابتعد الناس عن صفو اللغة وبيانها في عهد الرسالة، فضعفت الملكة اللغوية وقوة الاستنباط واضمحل التذوق الفطري للبيان القرآني ونظمه، فوجب النظر فيه بتدبر وتأن ودراسة فاقتصر على الصفوة، فأصبحت الحاجة ملحة لبيان حقيقة الإعجاز القرآني،، لمواجهة الطاعنين في النص القرآني بدعوى وجود التناقض والتكرار والضعف، فتصدى لهذا الطعن علماء البلاغة وعلماء الكلام والعقيدة يثبتون وجوه الإعجاز القرآني الذي **﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**، ولإثبات نبوة محمد ﷺ لأن الإعجاز على نبوته وهي أصل من أصول الإسلام فللجانب العقدي الأثر الأول في نشأة هذا العلم.

ونتيجة لتنوع الباحثين والمهتمين بعلم الإعجاز وثقافتهم المختلفة، فقد تنوع البحث فيه بحسب الباحث وثقافته، فمنهم اللغوي ومنهم المنطقي ومنهم الفلسفي ومنهم العلمي فاشتعلت بينهم الخصومات الفكرية.

- فاتخذ البحث في الإعجاز منحيين أساسيين هما:

المنحى الأول: تناول علم الإعجاز بصورة غير مباشرة عبر الدفاع عن نظم القرآن وأسلوبه ودفع الشبه والطعون عنه.

المنحى الثاني: تناول علم الإعجاز بصورة مباشرة فكتب في مصنفات خاصة ومستقلة، إلا أنها كانت مختلطة بأبحاث أخرى مماثلة له.

ووفقاً لما تقدم يمكننا فهم و**نشأة وتطور علم الإعجاز من خلال الآتي:**

<u>الاتجاه الأول: البحث والتصنيف غير المباشر:</u>

تجلى هذا التصنيف في الدفاع عن القرآن الكريم ومواجهة الحاقدين والشعوبيين

وأبرز من كتب في هذا اللون:

١-أبو عبيدة ت٢١٠هـ في كتابه ((مجاز القرآن)).

٢-الفراء يحيى بن زياد ((ت٢٠٧هـ)، في كتابه((معاني القرآن)).

٣-الجاحظ ((ت ٢٥٥هـ)) في كتابه ((البيان والتبيين))و(((نظم القرآن)) ومؤلفات أخرى.

٤-ابن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٨هـ)) في كتابه ((تأويل مشكل القرآن))،،،،

وهؤلاء جميعاً قالوا لم يخرج القرآن عن كلام العرب ومناحيهم إلا أنه فارق أساليبهم وأعجزهم بفصاحته وبلاغته وسمو بيانه وفصاحته وعجيب تأليفه.

أما ابن قتيبة فقد اهتم بمواجهة الشعوبيين وما أثاروه من وجود التناقض والاختلاف وسوء في نظمه، فكتب ((تأويل مشكل القرآن))، في هذا الشأن، وقالت عائشة عبد الرحمن((بنت الشاطئ)): انتصرت الفرق الإسلامية لبعضها البعض في شأن القرآن، وكتب الأشعري والجاحظ والخياط والطبري وأبي عبيدة وغيرهم في هذا الشأن.

<u>الاتجاه الثاني: وهو البحث والتصنيف المباشر:</u>

وقد جاء التصنيف **المباشر على أسلوبين مهمين:**

الأسلوب الأول في التصنيف: ما كان ضمن مباحث مختلفة، إذ كتب الجويني الإرشاد، وكتب البغدادي أصول الدين، و كتب القاضي عبد الجبار (المغني)، والزركشي كتب البرهان، والسيوطي كتب الإتقان، ...وغيرهم.

الأسلوب الثاني في التصنيف: ومنهم من وضع تصنيفاً مستقلاً: كالجاحظ الذي ألف نظم القرآن، وقد ذكر الرافعي أن أو من كتب في هذا العلم: أبي عبدالله يزيد الواسطي (ت٣٠٦) وعبد القاهر الجرجاني، وأبو عيسى الرماني، والباقلاني وغيرهم.

ومما يجدر الإشارة إليه أن العلماء قد اتفقوا على ان القرآن معجز ولكنهم اختلفوا في الوجه المعجز منه، فهل هو معجز في لفظه ونظمه أم في بيانه ومعناه واسلوبه، ام

في بلاغته وفصاحته، أم بتأثيره في النفوس وإيقاعه وموسيقاه، أم هو معجز في إخباره بعلم الغيب وتشريعاته،،، ام هو معجز بكل هذا أم ببعض منه.

-تطور آراء العلماء في الوجه المعجز في القرآن الكريم:

كانت أول بداية البحث في علم الإعجاز مستقلاً هي في القرن الثالث الهجري بعد ظهور الطاعنين فيه من أمثال الملحد ابن الراوندي، وعيسى بن صبيح المردار...

وكان من ابرز من كتب في علم الإعجاز:

١-أبو إسحق ابراهيم بن سيار النظام البصري المعتزلي ((ت٢٢٠)). وهو يعتقد ان الوجه المعجز في القرآن هو بالصرفة عن الإتيان بمثله.

٢-الجاحظ: قرر أن الوجه المعجز هو في البيان، ووافقه على هذا الرأي: الفراء وابن قتيبة وأبي عبيدة.

القرن الرابع الهجري: في هذا القرن اتضحت دراسة علم الاعجاز وممن الف فيه: الرماني والخطابي والعسكري ومحمد بن يزيد الواسطي، والأشعري والطبري وآخرون

القرن الخامس الهجري: وهو العصر الذهبي في دراسة علم الإعجاز، ومن أبرز علماء هذا العصر: المعري، والشريف المرتضى، وابن حزم ....وغيرهم.

القرن السادس الهجري: ازدهر في هذا العصر: الغزالي، والقاضي عياض والزمخشري وابن عطية وابن رشد والطبرسي والزمخشري ...وغيرهم.

القرن السابع الهجري: ومن ابرز أعلام علم الإعجاز في هذا القرن: الفخر الرازي، والقرطبي، والسكاكي.

القرن الثامن الهجري: ومن ابرز من كتب في هذا القرن، الزملكاني، والقزويني وابن كثير، والزركشي، وابن الزبير القرناطي ، وابن القيم، وابن تيمية،... وغيرهم.

من القرن التاسع وإلى القرن الرابع عشر الهجري:

في هذه الحقبة اكتفى علماؤها بما جاء به الأولون من البحث في علم الإعجاز ومن هؤلاء، السيوطي وأبو الثنا الآلوسي ومحمد الاسكندراني ...وغيرهم.

القرن الرابع عشر الهجري:

يعد هذا القرن هو العصر الذهبي للتأليف في علم الإعجاز بعد العصر الأول في علم الإعجاز وهو القرن الخامس، وعلماء هذا العصر ابتكروا نظريات جديدة في علم الإعجاز ومنها:

١-الإعجاز العلمي فقد قال به زغلول النجار وغيره.

٢- الإعجاز العددي فقد قال به رشاد خليفة وعبد الرزاق نوفل.

٣- الإعجاز البياني فقد قال به بنت الشاطىء ومحمد رشيد رضا وسيد قطب والرافعي،، وغيرهم.

٤- الإعجاز التشريعي فقد قال به عبدالله دراز وأبو زهرة ومحمد عبده، وآخرون.

٥- الإعجاز الموسيقي فقد تميز به سيد قطب فوق تميزه بالوجوه الأخرى من العلم.

3-شبهة القول بالإعجاز بالصرفة والإعجاز العددي

ذهب إلى هذا النوع من الإعجاز طائفة من المعتزلة وبعض المعاصرين الذين تأثروا بالمدرسة العقلية في الصفات والكلام، قالوا: إنَّ الإعجاز في القرآن إنما هو بصرف البشر عن معارضته، وإلا فالعرب قادرون على معارضته، لكنهم صُرِفُوا عن معارضته، فهذا الصرف هو بقدرة الله عز وجل، وهذا الصرف لابد أن يكون من قوة تَمْلِكُ هؤلاء جميعا وهي قوة الله عز وجل. وأول من قال بها: إبراهيم بن سيار النّظّام.

وهذا القول ينقض بدليلين مهمين:

١- الدليل الأول سمعي نقلي من القرآن:

فهو قوله ﷻ:**﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾**، فالله عز وجل أثْبَتَ أَنَّ الإنس والجن لو اجتمعت على أنْ تأتي بمثل هذا القرآن وصار بعضهم لبعض مُعيناً في الإتيان بمثل هذا القرآن إنهم لن يأتوا بمثله، وهذا إثبات لقدرتهم على ذلك؛ لأنَّ اجتماعهم مع سلب القدرة عنهم بمنزلة اجتماع الأموات لتحصيل شيء من الأشياء. لكنهم سيعجزون مع قُدَرِتهم التي ستجتمع وسيكون بعضهم لبعض معيناً على المعارضة،

وهذه الآية هي التي احتج بها المعتزلة على إعجاز القرآن، ففيها الدليل ضدهم على بطلان الصَّرْفَةْ.

٢- **أما الدليل الثاني وهو الدليل العقلي:** أنَّ الأمة أجمعت من جميع الفرق والمذاهب أنَّ الإعجاز يُنْسَبْ ويضاف إلى القرآن ولا يضاف إلى الله عز وجل، فلا يقال إعجاز الله بالقرآن، وإنما يقال باتفاق الجميع وبلا خلاف هو إعجاز القرآن. فإضافة الإعجاز إلى القرآن تدل على أنَّ القرآن مُعْجِزٌ في نفسه، وليس الإعجاز من الله بصفة القدرة. لأننا لو قلنا الإعجاز إعجاز الله بقدرته الناس عن الإتيان بمثل هذا القرآن، فيكون الإعجاز بأمر خارج عن القرآن. فلما أجمعت الأمة من جميع الفئات والمذاهب على أنّ الإعجاز وصْفٌ للقرآن علمنا بُطلان أن يكون الإعجاز صفة لقدرة الله عز وجل؛ لأنَّ من قال بالصرفة بأنَّ الله سلبهم القدرة هذا راجِعٌ إلى صفة القدرة وهذه صفة ربوبية. وهذا لاشك أنه دليل قوي في إبطال قول هؤلاء.

لهذا المعتزلة المتأخرون ذهبوا على خلاف قول المتقدمين في الإعجاز بالصرفة؛ لأنَّ قولهم لا يستقيم لا نقلاً ولا عقلاً.

- **وللعلماء ردود أخرى على القول بالصرفة منها:**

١- لو جازت الصرفة لما كان هناك تفاوت بين كلام وكلام وقول وقول وكاتب وكاتب وشاعر وشاعر ولصح لكل ناطق ان يباري في كلامه الخطب البليغة والرسائل الفريدة والمعلقات الخالدة وهذا غير سائغ، ثم لو كانت المعارضة حاصلة وإنما منعت بالصرفة لما أصبح الكلام معجزاً ولما كان له فضل على غيره في نفسه، قال الباقلاني: القول بالصرفة يعني ان الكل قادرون على الإتيان بمثله وإنما يتأخرون لعدم العلم بوجه ترتيب لو علموه لوصلوا إليه، وهذا مستحيل عليهم.

٢- لو جازت الصرفة حين نزول القرآن لما جاز الصرف قبل نزوله كون الجاهلية لم يتحدوه فبطل القول بالصرفة، أو أن يخرجوا لنا قرآناً من تأليف عرب الجاهلية.

٣-فساد القول بالصرفة يضاف إليه فساد آخر وهو: زوال الإعجاز بزوال زمن التحدي، وقد زال زمن التحدي وبقي الإعجاز القرآني موجوداً، مما يدل أنه معجز.

5-من وجوه الإعجاز لدى المتقدمين: الإعجاز بالنظم والتركيب النحوي

أولاً- النظم لغة واصطلاحاً:

-**معنى النظم لغة:** فهو بمعنى التأليف، ونظمه ألفه، وجمعه، في سلك فانتظم، أي: ضم بعضه إلى بعض، والمنظوم هو: ما تناسقت أجزاؤه على نسق واحد.

-**النظم اصطلاحاً:** قال الجرجاني: إعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وقوانينه وأصوله ومناهجه، فلا تزيغ عنه ولا تخل بشيء منه. فالنظم في القرآن هو: خصائص مهمة في اسلوبه وراء جمال اللفظ وجمال المعنى تطَّرد في جميع آياته.

ثانياً-تاريخ فكرة النظم وتطورها: تتمثل فكرة بذرة النظم فيما كتبه النحاة مثل سيبويه والجاحظ وغيرهم من علماء الإعجاز المتقدم ذكرهم.

قال سيبويه: (معنى النظم هو إتلاف الكلام وما يؤدي إليه من حسن وقبح وصحة وفساد..)، **وقال الجاحظ:** (النظم والأسلوب في القرآن هو النظم الذي لم تعهده العرب في نثرهم وشعرهم، وقد سحرهم في مقاطعه وفواصله ومطالعه..)، **وقال أبو سليمان الخطابي:** (إنما صار القرآن معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمناً أصح المعاني..إذ وضع كل نوع من الألفاظ موضعه الأخص.. ولو رفع من موضعه لذهب رونق الكلام ولتغير المعنى واختفت البلاغة..)، **وقد قرر الباقلاني بأن تحقق الإعجاز يتم بثلاثة أوجه:**

١-ما فيه من عجيب النظم،٢- وما فيه من بديع الوصف،٣-والعجز عن أن يؤتى بمثله.

فليس الإعجاز في الحروف، وإنما في نظمها وضم بعضها إلى بعض.

-**أمَّا القاضي عبد الجبار الأسد آبادي:** فقد قال الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما في ضم بعضه إلى بعض، وإن لكل كلمة صفة قد تكون في: ١- المواضعة، ٢-أو الإعراب، ٣-وقد تكون في الموقع. فالتزيد في المزية لا يكون إلا في ضم الألفاظ بعضها إلى بعض كقوله ﷻ: **﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾**. ودحض فكرة التكرار في سورة الرحمن قال ﷻ: **﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا**

تُكَذِّبَانِ﴾، فقال إن هذا ليس بتكرار، لأنه يذكر ويعدد نعم بعد نعم، كأن تقول: اتقتل زيدا وأنت تعرف فضله، اتقتل عمراً وأنت تعرف صلاحه، وتقتل فلاناً وأنت تعرف شجاعته...الخ.

-**وقرر الجرجاني** أن نظرية النظم ليست شيئاً قبل تأليف الجملة إلاّ بالضم والتأليف وبناء الكلمة ومؤانستها لأختها ولا فضل لها من دون أختها، وقد ربط النظم بعلم النحو ربطاً محكماً وسمَّاه البلاغة النحوية. وممَّا يجدر ذكره أنَّ **مصطلح النظم مصطلح أشعري** ويقابله عند **المعتزلة مصطلح الفصاحة** الذي يتضمن حسن اللفظ وحسن المعنى.

ثالثا- بعض التطبيقات على علم الإعجاز بالنظم والتركيب النحوي:

أ- أمثلة للجرجاني عن النظم القرآني ولاتساق بين المعاني والألفاظ: قال إن الكلمة لا تكتسب صفتها الذاتية وشحنتها النفسية إلا إذا كانت في عشيرة من الكلمات وسلك من النظم المخصوص ولا يمكن أن تدل على نفسها إلا بأخواتها فتتشابك الأفكار وتتعانق فينشأ تركيب من الصور والتأملات التي تُكَوِّن الأسلوب المعجز الذي تفوق فيه القرآن وأعجز، قال ﷻ: **﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** فأي كلمة من هذه الآية لا يمكن أن تؤدي وظيفتها إلا إذا كانت في مكانها في تعانق وتناسق رائع مع أخواتها فيتحقق البناء والنظم المعجز. وفي قوله: ﷻ: **﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾** فللتنكير في هذه الآية روعة وحسن ولطف لا تجده مع التعريف، فالحرص الشديد والحالة النفسية لليهود جعلتهم يعيشون أي حياة مهما كانت حرصاً على مستقبلهم وهو المعنى الثاني المكتسب من تنكير كلمة(حياة) الذي نبه عليه الجرجاني في هذه الآية. وقوله: ﷻ: **﴿ولكم في القصاص حياة﴾**، فمن علم انه إذا قتل سيقتل سيمتنع عن قتل الناس بسبب القصاص فيكون في هذا حياة للآخرين.

ب – ومن التطبيقات على الإعجاز بالنظم، **الإعجاز بالبنية والصيغ:** الاسم يدل على الثبوت والاستقرار، والفعل يدل على التغير والحدوث والتجدد، فالحديث عن رجل يكتب يدل على الحدوث والتجدد أي أنه آخذ بالكتابة ومجدد لها. أما عن قولك

فلان كاتب فهذا يدل على أن وصف الكتابة قد تم وثبت له.. ولذلك قيل إن الجملة الإسمية أقوى من الجملة الفعلية.

يقول الرازي: لما كان اخراج الحي من الميت يحتاج إلى مزيد عناية فأتى به تعالى بصيغة الفعل المضارع الدال على التجدد والحدوث في كل حين وأوان فقال ﷻ: **﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾**، أما الاسم فلا يحتاج إلى مزيد من الاعتناء ساعة فساعة لأنه تم وانتهى، قال ﷻ: **﴿مخرج الميت من الحي﴾**، أي أنه مات وانتهى. وهذا يحدده سياق الآيات ..

-وحينما يستعمل القرآن الكريم **المصدر** يستعمله استعمالا عجيبا ومعجزا فيأتي بالمصدر مرفوعا في سبيل الواجبات كقوله: ﷻ: **﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ وقوله:** ﷻ: **﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾**، وفي المندوبات يأتي بالمصدر منصوباً قال: ﷻ: **﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾**، ومثله قوله ﷻ: **﴿فقالوا سلاماً قال سلامٌ﴾** إذ قال (سلاماً) للمندوب، وقال (سلامٌ) للواجب، قال أبو حيان الجملة الإسمية أكثر توكيدا من الجملة الفعلية.

وقد يجمع القرآن بين صيغتين من مادة واحدة احتياطاً للمعنى كقوله ﷻ: **﴿الرحمن الرحيم﴾** إذ جمع بين الصيغتين ليفيد ثبوت الرحمة وتجددها لعباده المؤمنين، فقوله (رحمن) على وزن فعلان وهي غير ثابتة تقول عطشان غضبان وهي متجددة وغير ثابتة، بخلاف قوله(رحيم) فإنها صفة ثابتة له وهي على وزن فعيل: وهي تفيد الدوام والثبات تقول: جميل وطويل وكريم وضعيف، ففي (الرحمن الرحيم) جمع تعالى بين الصيغتين ليفيد ثبوت الرحمة وتجددها لعباده المؤمنين.

-ومن ذلك استخدامه **لصيغ الجموع:** فهو قد يستعمل صيغة في موضع ويستخدم صيغة جمع اخرى لنفس الكلمة في موضع آخر، قوله ﷻ: **﴿وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾** وقوله ﷻ: **﴿سبع سنابل﴾** مع أن العدد واحد وهو(سبع) والسر أن كلمة (سنابل) جمع كثرة و(سنبلات) جمع قلة، فاستعمل جمع الكثرة لزيادة الفضل والأجر والثواب للمنفق في سبيل الله، واستعمل جمع القلة لأنه لا يفيد الكثرة وهي سني القحط والجفاف. فاستعمل كل لفظ لما يناسبه بحسب السياق في موضعه.

7- الإعجاز في البلاغة والبيان(الفصاحة):

أول من كتب في البلاغة وأسس لها: الجاحظ ت٢٥٥هـ. وذلك في كتابيه البيان والتبيين والحيوان **ومن أهم ما تميزت به دراسته للأسلوب القرآني:**

١-كانت نظرته للأسلوب القرآني نظرة عقلية ذهنية فنية مجردة متأثرة بإحساسه وذوقه الخاص.

٢-يفتقد إلى الوحدة العضوية والموضوعية لهذه النظرة فهي شذرات متناثرة وغير مترابطة.

٣-كانت نظرته جدية وفتحت الباب واسعاً لدراسة اسلوب القرآن.

٤-لم يقصد التأسيس لعلم الإعجاز بالبلاغة والبيان وإنما كانت دراسته انسياباً تأثريا فاضت به قريحته.

فهو فرق بين ألفاظ المطر للعذاب والغيث للرحمة وفرق بين لفظ الجوع للأغنياء والسغب للفقراء. وكان يكشف عن غوامض الكلم ومواضع الاستعارة والتمثيل والتشبيه، رسم صورة مرعبة عن شجرة الزقوم قال إنها توحي بالرعب والخوف، قال ﷻ: **﴿..أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾** فأبرز أصل الجحيم وقعر جهنم ورؤوس الشياطين كلها مبهمات مرعبة ومخيفة.

-**ابن قتيبة** ت٢٧٦، كتب تأويل مشكل القرآن، حاول أن يكشف عن مواطن الإعجاز والاستعارة والحذف والاختصار والتكرار والزيادة والكناية والتعريض وتأويل الحروف وكشف عن مخالفة ظاهر اللفظ لمعناه ويتبين من خلال دراسته أنه أكد على ما يأتي:

١-أكد على أمر الإعجاز بالتركيب البلاغي وكيفية ضم الألفاظ بعضها إلى بعض ولم يشر إلى ما وراء هذه الألفاظ.

٢-أكد على الإيقاع الداخلي للآيات والنظم الموسيقي باعتبار: أصواتها ومخارجها والهمس والجهر والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق والتفشي والتكرير، ...الخ.

٣-أكد على الأثر النفسي الذي يتركه تأليف الآيات في القارئ أو المستمع وحاول أن يكشف عن مواضع الاستعارة، ولم ينشغل بما وراء النص من خفايا.

-**الرماني:** ت٣٨٦هـ: يتجلى موقفه من خلال رسالته (النكت في إعجاز القرآن). فهو قد كشف عن الدلالات البلاغية والفنية والنفسية ثم تجاوز ظاهر النص إلى ما وراءه من دلالات وأسرار وكان تركيزه على الجانب النفسي والوجداني وتظهر وجوه الإعجاز في القرآن من سبع جهات:

١-ترك المعارضة مع شدة الحاجة وتوفر الدواعي،٢-التحدي لكافة البشر بشكل مطلق.

٣-الاعجاز بالصرفة، ٤- الإعجاز بالبلاغة، ٥- الإعجاز بالغيب، ٦-الاعجاز بنقض العادة، ٧- قياسه بكل معجز.

وقد وجه اهتمامه نحو البلاغة في القرآن ويجعلها من أظهر الوجوه الإعجازية، **ويجعل البلاغة ثلاث طبقات:**

١-منها ما هو في أعلى طبقة وهو القرآن الكريم، وهو كلام معجز وهو بلاغة القرآن، ويحصرها الرماني في عشرة أبواب وهي: الايجاز، والاستعارة ،والتشبيه، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والتلاؤم، والمبالغة، وحسن البيان.

٢-ومنها ما هو في أدنى طبقة وهي بلاغة العامَّة.

٣- و منها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، وهي طبقة أهل العلم.

تميزت دراسته بالأسلوب البلاغي كفن من فنون القول ومن أمثلته: قوله ﷻ: **﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾** وهذا مستعار وحقيقته أنه أجاعها وأخافها واستمر ذلك كاستمرار اللباس في لصوقه للجلد، وفي قوله أذاقها إشارة لشدتها كشدة مرارة العلقم. و قوله ﷻ: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** وهي استعارة كانت أبلغ من الحقيقة وهي صدع الزجاجة. وقوله ﷻ: **﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظ﴾** والشهيق صوتا فظيعا كشهيق الباكي، فهي استعارة بليغة، وتميز من الغيظ هي استعارة لشدة الغليان ....

-**الخطابي** ت٣٨٨هـ من خلال رسالته(بيان اعجاز القرآن. وهو أول من قسم **الأسلوب القرآني إلى أنواع متعددة:**

١-الأسلوب البليغ الرصين الجزل.
٢-ومنه الفصيح القريب السهل.
٣-ومنه الجائز الطلق الرسل.
وهذه أقسام الكلام المحمود من دون الكلام المذموم الذي لا يتصف به القرآن الكريم.
وقرر الخطابي أن لا أهمية للفظ وحده ولا أهمية للمعنى وحده وإنما **يتقدم الكلام بأشياء ثلاثة:**
١-لفظ حامل. ٢-معنى به قائم، ٣- رباط لهما ناظم. و تكاد لا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاركاً من نظمه والرباط الناظم حسن التأليف، فلا تنافر فيه ولا تعقيد. **وقرر أن عمود البلاغة العربية هو:** وضع كل كلمة في موضعها، وبخلافه يذهب رونق البلاغة لأن أي كلمة قد تصلح في تركيب ولا تصلح في تركيب آخر، وهذا لا يأتي به بشر، كون القرآن قد جمع بين الفصاحة والبلاغة والتأثير ودقة المعنى كي تنتظم آياته وتتسق.
ومن أمثلته: قوله ﷻ: **﴿فأكله الذئب﴾** ولم يقل افترسه لأن المراد أنه أتى عليه بالكلية، وقالوا الذئب لأنه لا يبقي من فريسته شيئاً وقالوا أكله خشية من أن يطالبهم أبوهم بشيء منه، وقوله: ﷻ: **﴿هلك عني سلطانيه﴾** ولم يقل (ذهب) لأن الذاهب قد يعود بينما الهالك ليس له رجعة البتة.
-الباقلاني: يمكننا الحكم على أثره من خلال كتابه(إعجاز القرآن).
يمكن أن نجمل موقف الباقلاني من الإعجاز القرآني بأنه يكمن في عجيب نظمه وتأليفه وهو متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعجز البشرية جميعاً، وقال إن القرآن يرتفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة، **وإن إعجاز القرآن يتضمن وجوهاً منها:**
١-منه ما يعود إلى الجملة أي أنه يختلف عمَّا عهدته العرب في كلامها.
٢- لم يألفه العرب فصاحة وبلاغة فوق ما به من لطافة ومعان عميقة.
٣-فوق ما فيه من ثروة من الحِكَمْ والقصص والحجاج فإنه لا يختلف ولا يتباين.
٤-إن كلام الفصحاء البلغاء يتفاوت في الفصل والوصل والعلو والسفل، والقرآن بريء من كل هذا فقد جاء بأحسن ربط ونظم وبلاغة مذهلة حارت بها العقول.
٥-إنه في علو بلاغته ونظمه فقد جاء فوق طاقة الإنس والجن.

٦-فقد تجاوز طاقة العرب في الخطابة والبسط والاختصار والجمع والتفريق والاستعارة والتصريح ونحو ذلك من الوجوه.

٧-رغم مجيء الكلمة في تضاعيف كلام كثير إلا أنها تحمل حلاوة وبلاغة تأخذ بالأسماع وترى رونق جمالها بادياً.

٨-إنه سهل ممتنع خارج عمَّا يستقذره العرب ويستنكروه، مما ذكرته الكتب السماوية الأخرى من سيء الأخلاق، فلا فحش ولا تكلف ولا تطويل ممل أو اختصار مخل.

١٠-جاءت ألفاظه موافقة للمعاني بصورة مبتكرة وموافقة لبعضها بعضاً في اللطف والبراعة والبديع، وعلى توافق بين الألفاظ والمعاني ممَّا يتعذر على أي مخلوق تأليفه.

-الفخر الرازي من خلال كتابه: (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز).

أكد، الرازي أن إعجاز القرآن يكمن في فصاحته والفصاحة من مرادفات البلاغة وهذه الفصاحة إما أنها تعود إلى المفردات المستخدمة أو إلى تراكيبه وتآليفه، وقد أيده حازم القرطاجي والمراكشي والسكاكي والزمخشري وغيرهم...

<u>قيمة البحث البلاغي في القرآن الكريم لدى المتقدمين:</u>

فقد درس السيوطي التشبيه والاستعارة والكناية والحقيقة والمجاز والخبر والإنشاء ..الخ، وقرر أن منبع السحر الأصيل في القرآن الكريم في صميم النسق القرآني في كل مقطع ومفصل من مفاصله، ومن أمثلته: قوله ﷻ: **﴿والصبح إذا تنفس﴾** استعير خروج النفس شيئا فشيئا بخروج النور شيئا فشيئا وكل ذلك محسوس فجعلت الآية الصبح وكأنه كائن حي يتنفس، بل وكأنه إنسان ذو عواطف وأحاسيس وخلجات نفسية تشرق الحياة بإشراقه. و مثلها قوله ﷻ: **﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾** فالدمغ والقذف مستعاران ومحسوسان قال الشريف الرضي: الدمغ يكون للأشياء الثقال عن طريق الغلبة والاستعلاء، فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه. وكأن الحق قذيفة ثقيلة تدمغ الباطل فتزهقه فتخرج روحه. ومثلها قوله ﷻ: **﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾** قال أصابع ولم يقل أنامل مما يدل على ما أصابهم من الذعر والهلع حتى أرادوا أن يدخلوا أصابعهم بدل أناملهم في آذانهم، ومثله قوله قال ﷻ: **﴿ فأمه هاوية﴾** إذ الأم كافلة لوليدها وهي

ملجأ له والنار كذلك كافلة ومأوى له ولسكنه، وهكذا في كناياته الجميلة مما فيها من أدب الحديث وأدب التعبير.

9-تطبيقات من الاعجاز البلاغي والبياني لدى المُحدثين:

ثانياً -وجوه من البيان القرآني: وهذه بعض أمثلة البيان القرآني في الموضوع:

١-دقة استعمال الألفاظ في القرآن الكريم:

استعمل الألفاظ استعمالاً مقصوداً ولك أن تقف على استعمال كلمة (عين):فهي تجمع على نوعين من الجمع:

١-تجمع على (أعين) وعلى (عيون)، فاستعمل كل منهما في موضع مناسب لا يصح استعماله في الموضع الآخر فلفظ(عيون)يستعمل حصراً في عيون الماء قال ﷻ: **﴿في جنات وعيون﴾** وقوله ﷻ: **﴿وفجرنا فيها من العيون﴾**...واستعمل كلمة أعين حصرا في عيون الرأس المبصرة، قال ﷻ: **﴿يعلم خائنة الأعين﴾** وقوله ﷻ: **﴿فأتوا به على أعين الناس..﴾** ، وانظر إلى استعماله لكلمة ((الريح)) فهي مفردة وتجمع على (رياح) ففي مقام العذاب والانتقام يطلقها مفردة قال ﷻ: **﴿ ..ريح فيها صر﴾** وقوله ﷻ: **﴿..ريح فيها عذاب أليم﴾**، وفي مقام الرحمة يطلقها بصيغة الجمع قال ﷻ: **﴿ومن آياته يرسل الرياح مبشرات﴾**، وقد يأتي بلفظ المفرد لاقتضاء السياق والبلاغة القرآنية قال ﷻ: **﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴾** إذ استعمل المفرد للإشارة إلى عدم ثباتهم على التوحيد والإيمان.

ومثلها استعماله لكلمة (مطر) وكلمة (غيث) فاستعمل الأولى في مقام العذاب واستعمل الثانية في مقام الرحمة، ومن عجيب دقة استعماله لكلمة (قسم) وكلمة (حلف)، فاستعمل الأولى لليمين الصادقة قال ﷻ: **﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾** وقوله ﷻ: **﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾**، واستعمل الثانية لليمين الكاذبة قال ﷻ: **﴿فلا تطع كل حلاف مهين.﴾** وقوله ﷻ: **﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾**. وكذلك في

استعماله لكلمة (يشاق) (ويشاقق)، فإذا أراد الإشارة إلى الله ورسوله فك الإدغام قال ﷻ: **﴿ومن يشاقق اللهَ ورسولَه فإن الله شديد العقاب.﴾** ، وإن أراد الإشارة إلى الله وحده أبقى على الإدغام كما هو قال ﷻ: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَه﴾**، وقد يفك الإدغام إذا أراد الرسول وحده قال ﷻ: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾**، ومن أبلغ ما عرف بلغة العرب أستعماله لكلمة(ضيزى) فهي أغرب كلمة في القرآن ولم يستعملها العرب لافي نثرهم ولا في شعرهم لثقلها وقد كشف الرافعي عن سر استعمالها في القرآن الكريم فقال إن لحسن استعمالها عدة اعتبارات منها:

١-وردت هذه الكلمة في سورة النجم وجميع نهايات آياتها (ألف)، ولو استبدلت بكلمة (جائرة) لكانت نشازاً، فجيء بها للالتئام وللتناسق الصوتي قال ﷻ: **﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى. تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾**.

٢-جاءت معلقة على سلوك معيب للكافرين الذين يئدون البنات ينسبونهن إلى الله.

٣-استعملت الآية الاستفهام الإنكاري(ألكم..) واستعملت في آخرها أسلوب التهكم قال ﷻ: **﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾**.فاشتملت على غرابة لفظ وغرابة إنكار وتناسق صوتي جميل.

٤-وأبلغ العجب في نظم الكلمة وائتلافها مع ما قبلها، قال ﷻ: **﴿ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾**، فيها مدَّان وغنتان، فيها مدًّا الإخفاء الحقيقي، وغنتا الإخفاء الحقيقي. الغنة الأولى خفيفة حادة، والغنة الثانية ثقيلة مستطلة متفشية، كأن العملية مجاوبة موسيقية تتناسب مع سياق السورة.

٥-وهذه المعاني الأربعة المتقدمة جمعت في أربعة أحرف هي(ضيزى)، ففي هذه الكلمة غرابة في القسمة، وغرابة في اللفظ، وانسجام في المعنى على أتم وجه، مع التئام في السياق والإيقاع.

-شبهة التكرار في القرآن الكريم:

يغلب وجود التكرار في القرآن الكريم المكي وقد يوجد في المدني ويعود وجوده **لأمرين مهمين:**

أحدهما– لأمر ديني يتعلق بطبيعة القرآن ككتاب هداية وتربية وذكر قال ﷻ: **﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** وقالﷻ: **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾** وليس اعتباطاً، بل لتمكين المكرر في النفوس وتقريره.

ثانيهما–لأمر فني أدبي يتعلق بالنص لزيادة معنى أو إتمام صورة أو لغيرها من الأسباب الكثيرة، ومن تمعن في القرآن لا يجد فيه تكرارا حقيقيا بل هو لون من ألوان التأثير الوجداني الفريد وتنويع في العرض والتصوير، ومن الأولى تسميته تنويعاً وليس تكراراً، ويكننا أن نقرر: أن ما يسمى بالتكرار في القرآن هو ليس تماثلاً بين النصوص [فالله نفى عن نفسه التماثل ولم ينفي عن تفسه التشابه] وإنما هو تشابه وهو يشبه تشابه ثمار الجنة قال ﷻ: **﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾**، فظاهر ثمار الجنة التشابه ولكن الطعم مختلف فهو يشبهه ولكنه لا يماثله، ممَّا يعني أن ما يسمى تكرارا هو ليس بتكرار وإنما هو فيه مذاقات مختلفة ومتجددة.

–سمات التكرار في القرآن الكريم:

١–تكرار العبارات التأديبية وهي رسالة معنوية وفنية، مثلﷻ : **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**،تكررت في التوبة والتحريم، وهو لشحذ الهمم ضد الكفار والمنافقين وهذا سياق السورتين.وقوله ﷻ: **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** تكررت في النمل ويس والملك والسجدة. وذلك بسبب كثرة الحاحهم في التحدي، ولكثرة ترديدهم لهذه الآية.

٢–أن التنوع في العبارات المتشابهة يتسق مع التنوع في الخلق، والموضوع، والألوان، وذلك كقوله:ﷻ : **﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا، وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾** وقوله: ﷻ: **﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاء﴾**، عبارة مكررة بثلاث صيغ بحسب أنواع الخلق، والملاحظ حينما يتحدث عن أنواع الزرع والثمرات يقول (مختلفاً)، لأن تنوع الصيغ يلفت النظر إلى ظاهرة التنوع في الخلق فهو يكرر اللفظ وينوع في الصيغة وهذا هو الإعجاز الحقيقي، قال ﷻ: **﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُه﴾**،

وقوله ﷻ: **﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُه﴾**. وقوله ﷻ: **﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه﴾**.

-اكثر الموضوعات تنوعا وتكرارا(العقيدة)مثل: آدم، إبليس، الأنبياء، أخلاقيات الإيمان...، ثمَّ إن لكل سورة جوها وسياقها الخاص وكل نص وإن بدا متشابها فهو يأخذ جو السورة وسياقها وله ملامحه في كل مرة من دون تماثل فهو متنوع، أنظر إلى قولهﷻ: **﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾**، **﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**.بحسب سياق كل منهما.

-وهكذا في تكرار الأداة مثل: تكرار (إن ربك) قال ﷻ: **﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**، **وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**،والملاحظ تكرار إن مع اسمها مرتين مع أنه يمكن الاكتفاء بمرة واحدة **والسبب في هذه الإعادة:**

*- بسبب طول الفصل بين الأداة وخبرها، فاقتضى إعادتها لبيان حظ (إن) من التوكيد. و لسبب فني إذ لو سقطت (إن) من النبأين للاحظت الفرق في التناسق والقوة في الأول وركاكة في الثاني....

-**تكرار الفاصلة في عدة سور** القمر والمرسلات والرحمن ولنأخذ مثلا سورة الرحمن تكررت **(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تكررت ٣١مرة ويتميز تكرارها بالأمور الآتية:**

١- كون هذا التكرار جاء بعد فواصل متحدة وتكررت كلمة الميزان مما اشاع جوا او لحنا موسيقيا متناسقا، وهي من اكثر سور القرآن تكرارا...

٢- بسبب طابع السورة وهو تعداد النعم وجاء التكرار بعد كل نعمة حثا لهم على شكر الله وتذكرها وعدم نسيانها.

-**التكرار في القصة:** وهو من أهم ما يميز التكرار في القرآن الكريم لأسباب فنية وتربوية ولكي تثبت في النفس وليس لمجرد العرض. **وللتكرار في القصة سمات بالغة في القرآن الكريم منها:**

١-لتشابه العبارات ولتماثلها في مخاطبة الأنبياء لأقوامهم،،قوم نوح، هود، صالح، شعيب، ..وهذا مقصود. وكان هذا العرض **يتم بطريقتين:**

-**الطريقة الأولى:** تنويع في عرض القصص المتشابهة في كل سورة على حِدة ثم إبراز التشابه فيها.

-**الطريقة الثانية:** عرض القصة الواحدة من سورة إلى سورة مع اختلاف التلوين بحسب جو السورة.

.إن ايراد هذه القصص بالتكرار والتنوع مقصودة لذاتها لأداء وظائف معنوية مهمة إضافة إلى الوظائف الفنية البديعة **ولعل من أهم هذه الأهداف والمقاصد:**

١-ابراز حقيقة معينة وهي كلمة الرسل الواحدة وقضيتهم الواحدة في مختلف الأجيال وهي: قوله ﷻ: **﴿اعبدوا الله مالكم من اله غيره﴾.**

٢-إن جميع الأقوام فيهم من كذب وفيهم من صدق.

٣-إن غالبية السادة هم من المكذبين الضالين وهم من ناصبوا الرسل العداء.

٤-إن الله نجَّى رسله ومن آمن معهم وأنه أهلك المكذبين ودمَّر عليهم بنيانهم.

٥-قد يتطابق أسلوب القصص لكل نبي مع إخوانه من الأنبياء والمرسلين وإن اختلف الزمان والمكان والأشخاص واللغات والدعاة ،،،ويمكننا أن نقرر أن القرآن تميز بالتنويع وليس بالتكرار وذلك لهدف تربوي ودعوي أخلاقي تعبدي واضح، إذ إن القرآن بلغ حد الترابط العضوي بين كلماته وجمله وسوره وآياته مما لا يدانيه كلام مع تنوع موضوعاته وكثرتها،، فتجد فيها روحاً تنبض بالحياة والحسن كلما طالعته فكل كلمة تؤاخي أختها حتى غدا من أوله إلى آخره وكأنه سبيكة واحدة وسلسلة متصلة محكمة السرد، فلك أن تتبع سورة الفاتحة من البسملة فالحمد فيخلص بك من معنى إلى معنى ومن مقصد إلى مقصد في تناسق جميل غير ممل.

10-<u>الإعجاز التشريعي:</u>

أولاً- مفهومه ومسوغاته:

عرفت البشرية في عصور التاريخ ألوانًا مختلفة من المذاهب والنظريات والنظم والتشريعات التي تستهدف سعادة الفرد والمجتمع، ولكن واحدًا منها لم يبلغ من الروعة والإجلال مبلغ القرآن في إعجازه التشريعي. إن القرآن يبدأ بتربية الفرد؛ لأنه لبنة المجتمع الأولى، وقرر القرآن صيانة الكليات الخمس الضرورية للحياة الإنسانية: النفس، والدين، والعِرض، والمال، والعقل، ورتب عليها العقوبات

المنصوصة، التي تُعرف في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود وقرر أن العلاقات الدولية في الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم أو معاهديهم، وهي أرفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية. ثمَ إن القرآن دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال، وسيظل إعجازه التشريعي قرينًا لإعجازه العلمي وإعجازه اللغوي إلى الأبد. ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالَم أثرًا عظيماً غيَّر وجه التاريخ. وقرر البعض أنه معجز بما فيه من أحكام تشريعية خالدة.

لذلك فالإعجاز التشريعي هو: كل ما جاء في القرآن من أحكام تشريعية تامة وكاملة تفي بحاجات البشر في كل زمان وكل مكان وفاء لا تظفر به في أي تشريع آخر. بما تضمنه من تشريعات في الحلال والحرام وسائر الأحكام وهذا الإعجاز هو المعجزة الدائمة التي تتحدى البشر **وقد استدلوا على صحة قولهم بالآتي:**

١-إن ما اشتمل عليه القرآن من علوم ومعارف يستحيل على محمدﷺأن يأتي بمثلها ويستحيل على أحد أن يأتي بمثله.

٢-ثبت علمياً أن القرآن كتاب علم لأنه جمع أصول العلوم والحكمة وكل مستحدث من العلوم له أصل في كتاب الله.

٣-إن القرآن معجز بأحكامه التشريعية التي تستهدف تحقيق الخير والسعادة للبشر جميعاً وأن التيسير مجلوب والحرج والضر مدفوع، بحسب القاعدة الأصولية ((المشقة تجلب التيسير)).

٤-شمول أحكامه لمشكلات الدنيا والآخرة بما يحقق الاستقرار والطمأنينة للبشر تمهيداً لإسعادهم.

٥-التكاملية في كل أحكامه رغم نزوله نجوما على فترة٢٣سنة.

٦- عدم تصادم أحكامه مع مقتضيات العقول وضروريات الحياة رغم تطاول الزمن وتعدد الأمكنة.

٧-مرونة احكامه مما يجعلها صالحة لكل زمان ولكل مكان مما يدل على انها تحمل في نفسها قابلية تطورها وملاءمتها لكل زمان ومكان.

ثانياً- من عجائب تشريعاته:

في مجال حقوق الإنسان حفظ حقوق الناس ومنع الاعتداء عليها وحرم الإكراه والاستبداد والغطرسة وحارب الرق وقنن قوانين الحرب واحترام العهود وحقوق الأسير وجعل الحرب وسيلة وليست غاية. وفي قوله ﷻ: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾**، تجد عجائب التشريع الإسلامي الذي حرم الاقتراب من النساء أثناء الحيض فكشف **العلم الحديث أن لهذا الاجراء فوائد جمة منها:**

*-أن ما تفرزه الحائض من إفرازات سمية قاتلة ولو أنها بقيت في جسمها لقتلتها.

*-أوجب عليها الاغتسال بعد الحيض لإزالة كل ما علق بالجسم وأثناءه. لأن هذه الإفرازات مؤذية وضارة للإنسان.

*-أثناء الحيض تكون المرأة في توتر وإعياء وآلام مختلفة وممارسة الجنس أثناءها يمنع نزول الدم الفاسد فيتسبب باضطرابات عصبية وعضوية وهرمونية يصعب الشفاء منها، وقد يؤدي إلى أمراض خطيرة في الرجل والمرأة على حد سواء. فهذه الآية احتوت على اعجاز تشريعي إلى جانب الإعجاز العلمي الواضح.

ثالثاً- اعتراف الخصوم بكمال التشريع القرآني وتفوقه:

إن ممَّا يدل على عظمة وإعجاز التشريعات القرآنية، ذهول وحيرة غير المسلمين في حل مشكلاتهم، إذ لجأوا مضطرين إلى تجارب وتشريعات القرآن في كثير من أمورهم،

ومن شواهد ذلك:

١-حرمت أمريكا الخمر وعملت على محاربته ولكنها فشلت في منعه.

٢-حرمت الدول الغربية الطلاق فرجعت مرغمة إلى القبول به وهو تشريع إسلامي.

٣-منعت إسبانيا البغاء في المواقع العامة، وهو مطلب قرآني صريح.

٤-ارتفعت الأصوات في كل مكان تدعو إلى تعدد الزوجات لحل مشكلات اجتماعية مستعصية.

٥-قرر الزعيم الفرنسي أن سبب خسارة الحرب مع ألمانيا هو الانحلال الخلقي فقال: الانحلال يقود إلى الاحتلال.

-الإعجاز التاريخي:

أولاً-ذهب بعض العلماء إلى أن القرآن معجز بإخباره عن الغيب ماضيا وحاضرا ومستقبلاً، مما ليس لمحمد علم بها ولا لأحد غيره من البشر قال ﷻ: **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**، وقد صدَّق ذلك التاريخ والأنبياء والمكتشفات العلمية وتجاربها...وعدَّ بعض العلماء هذا الوجه معجزاً لسببين:

أولهما: أن الإعجاز بهذا الوجه متحقق بانفراده.

وثانيهما: أن هذا الوجه وجه من وجوه الإعجاز الأخرى التي باجتماعها يتحقق الإعجاز بالقرآن الكريم كله.

ويتجلى هذا الإخبار في ذكر القصص الماضية أو الأحداث المستقبلية التي لم تكن من شأن العرب، والإخبار عمَّا في الضمائر وما يحيك بالنفس، قال ﷻ: **﴿إذ همت طائفتان أن تفشلا﴾ قال ﷻ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**، مع أن النبي ﷺ كان أمياً ولا يعرف عن علوم المتقدمين وأخبارهم شيئا، وجاء بجملة ما وقع من حين خلق آدم وإلى قيام الساعة. والبعض رفض هذا النوع من الإعجاز لقوله ﷻ: **﴿فأتوا بسورة من مثله﴾**، وكثير من السور لا تتحدث عن هذا النوع من الإعجاز ممَّا يعني أن (الإعجاز بالغيب) ليس هو مكمن الإعجاز بل القرآن كله معجز. فيكون الإخبار بالغيب من أدلة النبوة ولا يصلح أن يكون من وجوه إعجاز القرآن كما قالوا.

١-الإعجاز بالإخبار عن غيب الماضي:

قصها علينا القرآن وكأن محمدا كان موجودا حين حدوثها قال ﷻ: **﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين﴾**. في قصة موسى، وقصة مريم قال ﷻ: **﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾**، وقصة يوسف: قال ﷻ: **﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ﴾**، وقصة فرعون وجيشه الذي غرق في اليم قال ﷻ: **﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ ***

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾، وهذه قصص لم تقصها الكتب السماوية الأخرى بينما القرآن يأتي بها مفصلة بعد آلاف السنين، ثم تكتشف جثة فرعون فتكون آية للناس أجمعين، وقد صرح القرآن باسم والد إبراهيم آزر الذي يسميه بنوا اسرائيل ((تارح)) وقد ثبت تاريخياً أن تارح هو جد ابراهيم وليس والده وصدق الله العظيم حين قال ﷻ: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾**.

٢-إخباره عن غيب الحاضر:

أ-إخباره عن الملائكة والجن والجنة والنار والأجرام السماوية وإخباره عن صفات الله وأفعاله . .الخ.

بـ -إخباره عن أحوال المنافقين وكشف أسرارهم حول بناء مسجد ضرار، قال ﷻ: **﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله﴾** فأرسل النبي ﷺ من يهدم هذا المسجد ويحرقه. ومنه إخباره عن حادثة الإفك، وكشفه عن حقيقة الذين خُلِّفوا. و مؤامرات المشركين وغير ذلك كثير.

٣- الإخبار عن غيب المستقبل: ومن أمثلة هذا النوع من الإخبار:

١-ماظهر من انتصار الروم على الفرس مصداقاً لقوله ﷻ: **﴿غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾**، اذ فرح المسلمون لانتصار اهل الكتاب على الفرس الوثنيين وقد تحقق في السنة السابعة لحربهم الأولى، حين معركة بدر في السنة الثانية للهجرة.

٢-ماكان من عصمتهﷺ: قال ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾**. حينما نزلت أمر نفر يحرسونه بالانصراف وقال إن الله قد عصمني، فكان منه العجب ففي حنين يحيط به المشركون ويعجزون عن النيل منه وحينما تمكن منه أحد المشركين في غزوة (ذي الرقاع) قال له من يمنعك مني فقال النبيﷺ: الله فسقط السيف من يد المشرك فتناوله النبيﷺ: وقال الرسول للمشرك من يمنعك مني، فقال للرسول ﷺ:: كن خير آخذ، فعفى عنه الرسول فقيل أنه قد أسلم. وما وقع للوليد بن المغيرة حينما ختم له

بالكفر مصداقا لقوله ﷻ: **﴿سنسمه على الخرطوم﴾** إذ وسم في بدر فأخذ الناس يعيرونه بها حتى مات على الكفر ومثل ذلك كثير.

11-بعضا من وجوه الإعجاز العلمي:

١. ينقسم الإعجاز العلمي إلى ثلاثة أقسام:

الإعجاز الكوني، والإعجاز الطبي، والإعجاز العددي. والإعجاز العلمي في القرآن حق؛ ولكن وفق ضوابط محددة، إذ توسَّعَ فيه بعضهم فخرجوا به عن المقصود في جعلهم آيات القرآن خاضعة للنظريات العلمية، وهذا باطل؛ بل ينبغي أن تخضع النظريات العلمية للقرآن لأن القرآن حق من عند الله والنظريات من صنع البشر وينبغي أن تفهم هذه النظريات في ضوء القرآن.

فثَم أشياء من الإعجاز العلمي حق لم يكن يعلمها الصحابة رضوان الله عليهم، فظهرت في العصر الحاضر في أصول من الإعجاز العلمي للقرآن. وهذا الوجه من أظهر وجوه إعجاز القرآن سيما بعد فساد اللسان العربي، وبعده عن تذوق الفنون، والوجوه التي جاء بها القرآن، وهذا الوجه هو المناسب لهذا العصر(عصر المكتشفات العلمية)، وحينما يتحدث القرآن عن الآيات الكونية، فإنه يتحدث حديث الخبير بآيات الله وأسرارها، ولم يظهر أي خطأ مما ذكره، والقرآن جاء بأصول عامة تهم الإنسان وتؤدي به إلى الكمال روحاً وجسداً، وترك التفاصيل لأهل الاختصاص، وهذا اللون من الإعجاز ليس من وظيفة القرآن ولا من مواضيعه، لأن وظيفته الأساسية هي الإرشاد والهداية وإنقاذ الإنسانية من الهلاك، وتطرقه إلى هذه العلوم من قبيل الدعوة والبحث والانتفاع مما في الكون من أسرار، قال ﷻ: **﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** وقوله ﷻ: **﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون﴾.**

٢- وقد رد هذا اللون من الإعجاز عدد من العلماء للأسباب الآتية:

أولاً-لأن الحقائق العلمية المختلفة وجهاً من وجوه الإعجاز وقد اختلطت بعلم التفسير وغاية علم التفسير هي بيان معاني ألفاظه المفردة وجملة دلالاتها على المعاني وهو أمر في معزل عن الإعجاز، إذ المعجز هو ما يتصل بأساليب العربية مقارنة بأسلوب القرآن.

وهذا يتبين من وجوه:

١-إن الإعجاز القرآني دليل على صدق نبوة النبي ﷺ ووقع التحدي بنظمه وبيانه وليس بشيء خارج عن ذلك.

٢-إن إثبات النبوة وأن القرآن من عند الله لا يدل على أن القرآن معجز..كون الإعجاز هو برهان صحة النبوة، وصحة النبوة ليست برهان على إعجاز القرآن.

ثانياً-إن ما عرف من الانسجام بين الآيات الكونية والمكتشفات العلمية ليس دليلاً على إعجاز القرآن المرتبط بالتحدي، بل هو دليل على أنه منزل من عند الله.

ثالثاً-إن الآيات الكونية لا تشمل جميع سور القرآن وآياته، لأن القرآن تحدى بسورة غير معينة مما يعني أن أي آية يمكن أن يتحدى بها، والآيات الكونية المشار إليها تخرج عن أن تكون معجزة.

رابعاً- هذا الوجه لا يدركه إلا العلماء فمن لم يكن من أهل العلم حجب عنه هذا الوجه.

خامساً-يعدُ البعض هذا السبيل منزلقاً خطيراً إذ إنهم يحملون آيات القرآن ما لا تحتمل لإثبات الإعجاز العلمي.

سادساً-القرآن كتاب هداية وقانون وشريعة وعقيدة لا كتاب علم، وادعاء أن فيه إعجاز علمي يخرجه عن مهمته.

سابعاً- إن إعجاز القرآن ليس بحاجة إلى هذا المسلك المتكلف الذي يذهب بحقيقة الإعجاز.

ثامناً- إن تغير النظريات يقود إلى التلاعب بمعاني القرآن الثابتة مما يعني الطعن به والتشكيك بعقائد المسلمين.

-إن القائلين بالإعجاز العلمي ردوا على الرافضين لهذا اللون من الإعجاز وقالوا:

١-إن هذا اللون لم يكتشف إلا حديثاً وعقائد المسلمين كانت سليمة قبل اكتشافه. وهذا اللون سيزيد المسلمين نورا على نور وسيكون سبيلاً جديداً للهداية، وإن موافقة الحقائق العلمية للآيات الكونية لن تزعزع عقائد المسلمين، فقوله ﷻ: **﴿وجعل القَمر فيهنَّ نوراً وَجَعَلَ الشمسَ سِرَاجاً﴾**، عامة الناس يفهمون أن الشمس والقمر تنور الكون والعلماء يفهمون أن الشمس تمد الكون بالحرارة والضياء ولذلك سماها سراجاً، والقمر ضياءً فقط وعالم الفلك يفهم أن القمر يعكس نور الشمس على الأرض وهكذا فلا داع للقلق على عقائد العامَّة.

-ومن أهم الملاحظات على هذا اللون من الإعجاز:

١-تضمن القرآن إشارات مجملة ومفصلة لا تقبل الجدل ولا يمكن إغفالها.
٢-في هذا العلم حث للمسلمين لدراسة هذه العلوم لأهميتها بدلالة القرآن الكريم.
٣-وفي هذا اللون الرد الحاسم على الطاعنين والمثبطين مما يعيد الثقة للمسلمين بكتابهم و عقيدتهم.
٤-إن ما جاء به من آيات كونية لا ينفي عنه أنه كتاب هداية ونور ولا يعني هذا تحميل الآيات ما لا تحتمل، ولا تحمل الآيات إلا على الحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل، وفق ضوابط اللغة والأصول الشرعية والقواعد القطعية.

ثانياً- بعض الأمثلة من الإعجاز العلمي: إن هذه الأمثلة تثبت أنه من عند الله:

أ-الكون وحقائقه العلمية:

١- قال ﷻ: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ..﴾** ، وقد أثبت العلم أن الأرض والسماء كانتا سديما ثم انفصلت إلى أجزاء.

٢ـ -كانت النظريات القديمة تقول بثبات الأرض والكواكب تدور حولها أو أن الشمس ثابتة والكواكب تتحرك حولها، بينما القرآن تحدث عن هذه الكواكب بأنها سابحة في الفضاء قال ﷻ: **﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** فأثبت العلم نظرية القرآن وأبطل النظريات القديمة، وقال ﷻ: **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾**.

٣-أثبت القرآن كروية الأرض قال ﷻ: **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾** أي: إن الرجل الماشي، سيبقى يسير، وستبقى الأرض، ومعها البحر ممدودة أمامه لا تنقطع، لأن الأرض كروية، بل جميع الأفلاك كذلك، قال ﷻ: **﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾** والتكوير: التدوير، فقوله يدل على أن السماوات مستديرة والأرض مستديرة الشكل، والأفلاك كذلك.

٤-الكون في توسع مستمر: قال ﷻ: **﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾**، كون كلمة موسع اسم فاعل وهذا يدل على الاستمرارية والدوام...قال السير جيمس جيتر:

مقدار هذا التمدد ١٠٥ أميال في كل ثانية، لبعد قدره مليون سنة ضوئية والله أعلم ببعد وسعة هذا الكون.

ب-الطبيعة الجوية: يتجلى هذا اللون من ألوان الأعجاز بالآتي:

١-في قوله ﷻ: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾، وهو يكون بين قطيرات وقطيرات أو بين سحب وسحب ومن هذا الجمع بين الشحنات الكهربائية الموجبة والسالبة فينتج البرق.

٢-الاختلاف في الضغط الجوي في قولهﷻ: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾**. فيها إشارة إلى من يصعد إلى السماء يصاحب صعوده ضيق في التنفس بسبب قلة الأكسجين ونقص في الضغط الجوي.

٣-ضرورة التوازن الحركي والسكوني للأرض: قال ﷻ: **﴿والجبال أوتادا﴾** أثبت أهل العلم إن الجبل له جذر يبلغ ضعفي طوله فوق سطح الأرض وهذا لحفظ توازن الأرض أثناء حركتها قال ﷻ: **﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون * وعلامات﴾**.

ج – من عجائب خلق الإنسان:

١- قال ﷻ: **﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾**، أثبت علم الأجنة وجود ثلاث أغشية صماء تحيط بالجنين تمنع نفوذ الضوء والماء والحرارة لحماية الجنين، وهي: ١-الغشاء المنباري ٢- الحوربون ٣- الغشاء اللفائفي. والبعض سماها: غشاء المشيمة وغشاء الرحم وغشاء البطن الخارجي.

٢- ففي قوله ﷻ: **﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾** منها خلق الزوجين ومن هذا الماء يحدد جنس المولود وليس في البويضة فماء الرجل هو الذي يحدد جنس الجنين، ولذا قال ﷻ: **﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾**.

٣- قوله ﷻ: **﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾**، فيه إشارة إلى البصة في بنان كل إنسان فهي لاتشبه بصمة أي إنسان آخر وقد نبه عليها القرآن منذ مآت السنين.

٤- قوله ﷻ: **﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾** أثبت العلم أن مراكز الإحساس تكمن في الجلد، وأن التخدير لإجراء العمليات يقع على الجلد فقط.

٥-الإعجاز في إنتاج الحليب، قوله ﷻ: **﴿وإنّ لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشّاربين﴾** فيه دلالة واضحة على خروج الحليب من بين الفضلات والدم وكلاهما قذر ومقزز وفاسد وأثبت العلم ان الحليب قبل وصوله للثدي يمر **بعمليتي تصفية:**

أ-تمتص الأوبار المعوية المواد الغذائية ثم تطرحها في الدم، أما الفضلات تطرح خارج الجسم.

ب- المواد التي ذهبت الى الدم قسم منها يذهب لتغذية الأم والقسم الآخر يمر عبر الغدد اللبنية لتصفيته مما علق به من الدم وترسله مصفى إلى الضرع حليبا خالصا سائغا للشاربين وهذه حقائق لم تكن معروفة وردت في القرآن وأثبتها العلم الحديث مما يدل على أن هذا الكتاب معجز وإعجازه قائم ودائم مادامت السموات والأرض. قال ﷻ: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**.

12-الإعجاز النفسي:

في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه كثير من الناس فلا يكاد يعرفه إلا القلة، وهو صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، ففيه ما تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، ، فكم من عدو للرسول ﷺ، من رجال العرب وفتّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً".

<u>والبعض يرى للإعجاز النفسي عدداً من المعاني:</u>

أحدها: وقع القرآن في النفس، **وثانيها:** استخدام القرآن علمه عن طبيعة النفس البشرية ومعرفته بشئونها المختلفة ونواميسها التي تخضع لها لتأييد دعوته وحجته.

وذهب عدد من العلماء والباحثين إلى تسمية هذا الوجه من الإعجاز بأسماء أخرى، فهذا سيد قطب في أكثر من كتاب من كتبه يدور في فلك هذا الوجه الإعجازي ويتحدث عنه بإسهاب وإشباع، ويسميه أحياناً: سحر القرآن، أو: التصوير الفني، وهو في جميع ما كتب عن تأثير القرآن في النفوس وما يدخلها منه من روعة وتأثر إنما يزيد فكرة الإعجاز النفسي جلاءً ووضوحاً وتثبيتاً وتأكيداً، وإن لم يستعمل هذا الاسم في مؤلفاته، ومن المؤلفين من استخدم مصطلح: موسيقى القرآن والتأثير الوجداني له، وقام عدد من المتأخرين بالبحث في مدلول الإعجاز النفسي، وتحديد مجالاته، وممن بحث في ذلك الشعراوي (ت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) وهو يرى أن الإعجاز النفسي يتمثل في تمزيق القرآن حواجز غيب النفس.

ويرى الدكتور صلاح الخالدي أن للإعجاز النفسي جانبين:

"**الأول:** حديث القرآن عن النفس الإنسانية وبيانه لصفاتها، وتحليله لها، وكشفه لخباياها وخفاياها.

الثاني: تأثير القرآن في النفس الإنسانية سواء كانت مؤمنة أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات.

ويرى الدكتور فضل حسن عباس: أن الإعجاز النفسي هو: "ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، وما نجده من بيان لمكنونات النفس وخفاياها، ودوافعها في آيات القرآن الكريم، قد يكون ذلك في القصة القرآنية، وقد يكون ذلك في الحديث عن أعداء المسلمين، وقد يكون ذلك في الدنيا، وقد يكون في الآخرة كذلك، فإنك لتقرأ الآية من القرآن الكريم، وإذ بها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم بصورة واضحة المعالم، بيِّنة الاتجاه، لا تهمل جزئية، ولا تنسى مشهداً"، أما تأثير القرآن العظيم في النفوس وما يسبغه عليها من هيبة وحلاوة ورغبة ورهبة فيرى أنه: هو الإعجاز الروحي بحق. **فالإعجاز النفسي يعني:** عجز الكافرين أن يأتوا بكلام مثل كلام القرآن في بلاغته وبيانه، وفي تأثيره العظيم في نفوس قارئيه وسامعيه، وبهذا يظهر لنا أن تأثير القرآن الكريم في النفوس يرتقي ويتفوق ويتميز عن تأثير غيره من كلام الأدباء والفصحاء والشعراء وغيرهم، فأي كلام آخر لا يمكن أن تصل درجة تأثيره

إلى درجة تأثير القرآن، ومعظم تلك التأثيرات سلبية تؤدي إلى السقوط والهوى والانحدار، بخلاف تأثير القرآن وطاقته الإيجابية.

وقد ورد في هذا الشأن عدد من الآيات فيها بيان عظيم لتأثير القرآن الكريم في النفوس، ومن هذه الآيات **قوله ﷻ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**. تبين هذه الآية أن القرآن لو خوطبت به الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولتشققت، وهي دعوة موجهة لأصحاب العقول والقلوب أن يتأثروا مثل هذا التأثر.

وفي آية أخرى **قوله ﷻ:﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ للهِ الأَمْرُ جَمِيعاً﴾** . هذا ما يصنعه القرآن في هذه المخلوقات، "ولقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، لقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم، وأبعد تأثيراً في أقدار الحياة، بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته، فكم غيّر الإسلام والمسلمون من وجه الأرض، إلى جانب ما غيّروا من وجه التاريخ، إن طبيعة القرآن لتحتوي على قوة خارقة نافذة، يحسها كل من له ذوق وبصر وإدراك للكلام، واستعداد لإدراك ما يوجه إليه ويوحى به ومن الآيات، من مثل **قوله ﷻ:﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾. ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ و قوله ﷻ:﴿إِذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، و قوله ﷻ:﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً . وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾**، تشير هذه الآيات الكريمات إلى أن تأثير القرآن الكريم في المؤمنين يؤدي إلى أن تقشعر جلودهم وهي حركة غير إرادية تدل على عظيم التأثر، ثم تلين جلودهم وقلوبهم وتطمئن بذكر الله، **قال ﷻ:﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**. كما تؤدي إلى أن يخروا سجداً وهي حركة إرادية، تابعة لتأثر القلب وانفعاله إلى درجة حمل الجسد على السجود، وهذا فيه غاية الوله والخوف والخشية لله سبحانه. ومن الآيات **قوله ﷻ:﴿وَإِذا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى**

الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾. وقيل أنها نزلت في نفر من نصارى الحبشة قدموا على رسول الله ﷺ، فلما سمعوا القرآن أسلموا، و**قيل نزلت في النجاشي وأصحاب له** أسلموا معه حينما سمعوا مرافعة جعفر بن أبي طالب يدافع عن المهاجرين: **(قال أيها الملك كنا قومًا** أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، الخ ،، ما قال،،،. وقد قيل: (قل الحق ولو كان في ظاهره الهلكة وتجنب الكذب ولو كان في ظاهره النجاة).

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه على، فقرأ عليه صدرًا من: **{كهيعص}** فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أَخْضَلت مصاحفهم حينما سمعوا كلام الله، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة،،،. **فأخذ النجاشي عودًا من الأرض ثم قال:** والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضي . والشيوم: الآمنون بلسان الحبشة. من سَبَّكم غَرِم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لي دَبْرًا من ذهب وإني آذيت رجلًا منكم . والدبر: الجبل بلسان الحبشة.

. ففيض دموعهم لمعرفتهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله على رسوله حق، وإسماع الكافر كلام الله رجاء أن يتأثر به ويؤمن أمر مطلوب من المؤمنين، فمجرد سماع القرآن يمكن أن ينقل المرء من الشرك إلى الإيمان: **قال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾**. فهو له سلطان على النفوس، وليس هناك من كلام البشر ما له سلطان على النفوس مثل كلام الله. وأي مخلوق إذا سمع القرآن يجد له على نفسه سلطانا يجعل النفس تخضع وتستسلم له، إلا من كان معانداً أو ركب هواه. **هذا السلطان تجده في أشياء:** وهذا من أسرار السلطان الذي فرضه القرآن على النفوس التي تستمع إليه؛

لأنَّ الأنفس متنوعة. بل النفس الواحدة لها مشارب، فالنفس تارة يأتيها الترغيب وتارة يأتيها الترهيب، تارة تتأثر بالمثل، تارة تتأثر بالقصة، وتارة هي مُلْزَمَة بالعمل، وتارة تكون ملزمة بالاعتقاد. **وأقر الوليد بن المغيرة و هو للنبي ﷺ عدو و خصم** لدود أقر بعظمة القرآن فقال: " قد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن، و إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمغدق، و إنه يعلو و لا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته " و لذلك لم يجدوا أمام بيان القرآن إلا أن **يقولوا { إن هذا إلا سحر يؤثر }**. ثم إن إعجاز القرآن لا يتوقف على بلاغته فقط، **يقول نديم الجسر**:" إن إعجاز القرآن لا يقوم على بلاغته فحسب كما يظن البعض، و لكن يمتد إلى ما فيه من آيات معجزات تحمل لعلماء الطبيعة أسراراً من حقائق الطبيعة، و لعلماء الاجتماع أسراراً في نواميس المجتمع، و للفلاسفة أسراراً من حقائق الوجود، و لعلماء التاريخ أسرار من دقائق الأخلاق، و علماء النفس أسراراً من قواعد علم النفس، و لعلماء التربية أسراراً من أساليب التربية. ومكمن الإعجاز في هذا القرآن أنه نزل على رسول الله محمد النبي الأمي وليد البيئة الأمية قبل قرون طويلة من انكشاف أسرار العلم التي وصلنا إليها اليوم".

و بقي التحدي القرآني يدعو أرباب الفصاحة للإتيان بمثل هذا القرآن ، فما قدر على معارضته أحد على كثرة الأعداء، و توافر البلغاء. فهو يغْدِقُ على النفس البشرية أنواعا من الآيات المؤثرات فإن لم تتأثر بهذه تتأثر بهذه. و هذه طبيعة كلام من خَلَقَ هذه النفوس البشرية، قال ﷻ: **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير﴾**. فلا مفر منه لأنَّه يأسرك ويحاصرك، فأيُّ إنسان أراد أن يفر لا يمكن أن يفر منه، ستأتيه قوة بآية فيها وصف الكافرين، آيات فيها قوة في وصف المنافقين، آيات فيها قوة في وصف المؤمنين، آيات فيها العقيدة، فيها الماضي، فيها الحاضر، فيها النبوة، فيها الرسالة، فيها الدلائل، فيها حال المشركين، إلى آخر ما تميز به من أثر على النفوس، لدرجة أن البعض امتهن القرآن في العلاج والرقية الشرعية لإراحة ومعالجة النفوس القلقة المضطربة. وهذا وجه من وجوه الإعجاز التي أودعها به منزل القرآن، قال ﷻ: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾**. فقد جاء محكما ومتشابها لمخاطبة أنواع الأنفس المختلفة، فهذه يَصْلُحُ لها الترغيب، وهذه يَصْلُحُ

لها الترهيب، وهذا يَصْلُحُ له وصف الجنة، وهذا الذي ينشأ عنده الإيمان بالحديث عن عالم الفلك والنجوم إلى آخره، وذلك الذي ينشأ عنده الإيمان بالجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك. إن خطاب القرآن للناس جميعاً على تنوع أنفسهم لهو دليل على أنَّ له سلطان على النفوس. ولقد كتبت بحوث في أثره على البهائم والجمادات ولذلك ما يؤيده من السيرة إذ تأثر به الجذع وهذا ممَّ اشتهر عنه لما كان يخطب ﷺ على جذع نخلة في مسجده، ثم أمر أن يصنع له منبر من الخشب، فلما صنع له ترك الجذع، فأول ما قام يخطب على المنبر صار ذلك الجذع يحن إليه كحنين الناقة العشُراء إذا فقدت ولدها، وسمعه كل أهل المسجد حتى نزل من على المنبر والتزمه فصار يهدئه حتى انخفض صوته مثل الطفل إذا التزمته أمه، تأثرت به الجبال كما جاء في الحديث: أن داود (عليه السلام) كان إذا قرأ القرآن، جاوبته الجبال، قال ﷻ:**﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾**، وقد اشتُهر أبو بكر رضي الله عنه بالبكاء والتأثر عند تلاوة القرآن، وحين أوصى النبي ﷺ في مرضه أن يصلي أبو بكر بالناس، قالت له عائشة: "إن أبا بكر رجل أسيف إذا قرأ القرآن غلبه البكاء" وفي رواية: "إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمعه الناس من البكاء" قال ﷻ: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.**

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ.م.د.قدور أحمد الثامر انتهت في ٢٠٢٠/٥/١٧م.